تأثير الطراز القوطى المستحدث على العمائر الدينية
" الكنيسة الأسقفية بمدينة السويس بمصر أنموذجًا "

أة.أمينة أحمد مجاهد*

الملخص:

ساعد ميول حكام مصر إلى الطرز المعمارية الأوروبية الوافدة، وتوافد الجاليات الأجنبية من مختلف بلدان أوروبا والتي صاحبت حركة الاستعمار الفرنسي والإنجليزي لمصر على نقل التأثيراتِ الفنية والمعمارية الأوروبية إلى مصر وعلي رأسها الطراز القوطى المستحدث، ولذلك نجد أن المنشآت المعمارية التي شُيدت في مصر في هذه الفترة تميزت بأنها مزيج متقد من عدة طرز فنية ومعمارية أوروبية، والتى طغت في ذلك الوقت على الطراز الإسلامي المحلي، ومن أهم هذة الطرز التى انتشرت في مصر الطراز القوطى المستحدث التى تميز بالعديد من السمات المعمارية والفنية وشُيدت على طرازه بعض الكنائس للجاليات الأجنبية التي استقرت بمدن قناة السويس بعد شقها وافتتاحها للملاحة في المدة من سنة 1859م حتى سنة 1869م، منها هذه الكنيسة بمدينة السويس.

الكلمات المفتاحية: كنائس مصر؛الطرز المعمارية الأوروبية؛ الفرنسي؛ الإنجليزي؛ القوطى؛مدن قناة السويس.

Abstract :

The tendency of the rulers of Egypt to the European architectural styles and the influx of from various countries of Europe, which accompanied the French colonial movement and the English to Egypt to transfer the effects of European architectural and artistic to Egypt, especially the Gothic style developed, therefore, we find that the architectural facilities that were built in Egypt in this period It was characterized by a complex blend of several

* طالبة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة، المشرفون، أ.د/ أحمد رجب محمد علي أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية ووكيل *كلية* الآثار لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة - جامعة القاهرة.، أ. د/ أحمد محمود محمد دقماق أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية كلية الآثار،محمد حسن حسانين أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية المساعد كلية الآثار جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية.

European architectural and artistic styles, which at that time dominated the local Islamic style. One of the most prominent of these styles was the modern Gothic style which characterized many architectural and artistic features.

Key words : Egypt; the Gothic style; European architectural styles; foreign communities; the local Islamic style.

مقدمة:

يُعتبر الفن القوطى هو أول طراز معماري شامل ظهر في أوروبا في العصور الوسطي استطاع المهندسون فيه التحرر من الأساليب والسمات الفنية الرومانية والبيزنطية[1]، حيث امتد حوالي ثلاثة قرون ونصف، وقد بدأ ظهوره منذ منتصف القرن 6هـ/ 12م حتى بداية القرن10هـ/15م[2]، وهو في المقام الأول فن ديني سرعان ما انتشر في العديد من المناطق والممالك الأوروبية مثل فرنسا وإنجلترا وأسبانيا وإيطاليا وغيرهم[3]، وكلمة " Goth " وردت للمرة الأولى في مؤلفات المصور فازارى(1511: 1574م) " Vassari" الذي أرخ لفناني عصر النهضة في إيطاليا[4]، علي أن هذه التسمية ليس لها علاقة بالقبائل القوطية البربرية التي أغارت علي معظم ممالك أوروبا، ولكن الإيطاليين أطلقوها علي هذا الفن بهدف التقليل من شأنه واحتقاره[5].

ويوجد عدد كبير من علماء تاريخ الفن الذين يعتبرون أن الفن القوطى هو فن القرون الوسطى أو فن القرون المظلمة في أوروبا، كما يشير البعض إلى أن الحروب الصليبية قد ساهمت بشكل فعال في نمو وتطور هذا الفن[6]، وقد اقترح بعض المؤرخون تسميته بالفن الأوجيف " Ogival "ونجد هذا الإسم في بعض المؤلفات الفنية مثل االرومانسكية والقوطية لغلوريا فوسى[7]، كما أن البعض الأخر يسميه " بالفن الفرنسي" وذلك بسبب أن أول ازدهار له كان في فرنسا في القرن 6هـ/ 12م[8]، ويعد السير كريستوفر- رن " Sir-Gristopher - Wern " هو أول من استخدم تعبير الطراز القوطى في القرن 9هـ/ 15م، وذلك لتحديد نهاية عصر العمارة الكلاسيكية في القرن 6هـ/ 12م، وابتداء عصر العمارة القوطية الذى استمر حتى نهاية القرن 9هـ/ 15م[9] ، ربما كان قصد المؤرخين من اختيار كلمة " قوطى" للدلالة علي هذا

الفن هو التعبير عما يناقض الفن الكلاسيكى من حيث القيم الفنية والأفكار، وذلك نظراً لإمتداد وجذور هذا الفن إلى الأصوال العربية.

أولا: نبذة عن الطراز القوطى الجديد" المستحدث"

شهد أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر اضطرابات سياسية وتغيرات تكنولوجية أحدثت ثورة في حياة الناس في غرب أوروبا، فتغيرت أساليب الصناعة ووسائل النقل خلال جيل واحد أو جيلين بمعدل ودرجة تفوق ما جرى فيهما في أى عصر أخر في التاريخ، وكونت قوى جديدة تدفع الحياة إلى غرب أوروبا في القرن التاسع عشر لاسيما في إنجلترا وفرنسا.

بدأت عملية إحياء الطراز القوطى تسود مجال العمارة والتصميم مع حلول منتصف القرن التاسع عشر، وقد حمل لواءه الشعب البريطاني خاصة المعمارى أوجاستاس يوجين(1812: 1852م) "A.W.Pugin" أهم الدعاه للإحياء القوطى، وهو أيضا من رواد إعادة اكتشاف طرق العصور الوسطي في عمل الزجاج المعشق بالرصاص في الكنائس والمشهور بأعماله الزخرفية في مباني البرلمان الجديد، وكان معه زعماء أخرين يقودون عملية الإحياء مثل المعمارى الإنجليزى جون راسكين "John Ruskin"، ووليام موريس "William Morris " مؤسس شركة موريس لإنتاج الأعمال الزخرفية منها الزجاج المعشق بالرصاص[10].

استخدم كل من السير كريستوفر رن، والسير جون فانبرو التكوينات القوطية في جميع أعمالهما المعمارية في إنجلترا، حيث أن كل منهما كان يعتقد بإيمان وقدسية هذه العناصر القوطية، وإنها تتلائم مع طبيعة إنجلترا ومع إجتماعيات الشعب البريطانى وتقاليده وتنسجم إنسجاماً تاماً مع الصور الحية لطبيعة البلاد وخاصة الريف الإنجليزى، ومن أروع الأمثلة التي أنشئت في الأعوام 1162-1191هـ/1749-1777م ذلك القصر الريفي فى تويكنهام على هضبة "Strauberry Hill" من تصميم المهندس المعمارى هوارس والبول "H.Walpole"، وليم روبنسون "W.Roblnson"، والمثل الأخر الذى يجمع بين جمال الطراز القوطى وسحر الشرق مبنى البافيون الملكى في برايتون المشيد في الأوام 1300-1303هـ/1815-1818م، والذى يعكس ملامح طراز تاج محل بدهلي بالهند[11].

كانت هناك عدة أسباب لتغيير الاتجاه من الكلاسيكية الجديدة إلى إحياء القوطية، أهمها ثلاثة أسباب رئيسة، هي كالآتي:

السبب الأول: الاهتمامات الأدبية التي أنتجت حكايات قوطية والرومانسيات التي أثارتها الثورة الرومانسية العامة من خلال وضع قصصهم في العصور الوسطى، وساعد الكتاب مثل وال بول "Walpole" والسير والتر سكوت " Sir Walter Scott" علي خلق شعور من الحنين لتلك الفترة.

السبب الثاني: كتابات أصحاب النظريات الذين اهتموا بالعمارة كجزء من إصلاح الكنيسة ونقل أساليب العمارة القوطية.

السبب الثالث: الزخم الديني والأخلاقي وكتابات جون روسكين" John Ruskin"صاحب سبعة مصابيح الهندسة المعمارية في عام 1849م والأحجار من البندقية في عام 1853م التى كانت تُقرأ وتُحترم على نطاق واسع، وقد كانت عملية إحياء الفن القوطى من أطول وأقوى حركات الإحياء الفنية في القرن التاسع عشر الميلادى علي الرغم من أنها بدأت تفقد قوتها بعد الربع الثالث من القرن التاسع عشر، ورغم ذلك ظلت الكنائس ومؤسسات التعليم العالي تقام علي الطراز القوطى حتى فترة متقدمة من القرن العشرين[12].

احتل الطراز القوطى في هذه الفترة مكانة ممتازة، حيت كان يعبر عن الشعور الوطنى المتزايد بعد حروب نابليون(1799: 1815م) حيث فضلت كل من فرنسا وانجلترا وألمانيا استخدمه في أبنيتها، وذلك للتعبير عن السمو العقلي والبشرى لكل منها، ومن ثمرة هذا التفكير والإعتزاز بهذا الطراز الذى كان يوصف " بالنبل والتدين" أو" الأمانة المسيحية "، وذلك العمل الضخم الذى أنشىء وهو مبنى البرلمان في لندن، والذي يُعتبر أكبر عمل تذكاري لإحياء الطراز القوطي، حيث بدء إنشائه عام 1252هـ/1836م[13].

ثانيا: السمات العامة للطراز القوطي المستحدث

نجملها فيما يلي:

1- المساقط الأفقية، حيث يعتمد تخطيط الكنيسة القوطية علي شكل الصليب، وفيها يؤدى المدخل الذي يتوسط الضلع الصغير إلى الرواق الرئيسي الذي

ينتهي بالمذبح، ويغطى هذا الرواق بعقود مدببة متقاطعة ترتكز علي أعمدة من طابقين ويحف بالرواق الرئيسي رواقان "ممشيان" مغطيان بقبوات متقاطع[14]، ويظهر بالواجهة الرئيسية لهذه الكنائس عدة أبواب، وغالبا ما يوجد برجان علي الجانبين، شكل(1، 3).

2- الأقبية المتقاطعة "القوطية" تعد الأقبية المتقاطعة العنصر الأساسي في العمارة القوطية الذى يرتكز عليه جميع العناصر المعمارية للبناء[15]، والقبو المحمول علي هذه العقود المتقاطعة يتكون عادة من أربعة أجزاء محمولة علي عقدين يتقاطعان وسط مساحة مربعة أو مستطيلة عند مفتاح العقد، ويحاط من الجانبين بعقدين يُسمى كل منهما عقد بارز مستعرض، ومن الجانبين الآخرين عقدان يطلق عليهما عقود طولية، وفي هذه الأقبية يقل الثقل على الأكتاف، ويتجمع الدفع في الزوايا الأربع، فيُمكن حينئذ عمل فتحات واسعة بين الأكتاف مدعومة دعماً كافيا[16]، شكل(4، 5).

3- العقد المدبب بدأت العقود المدببة إما على شكل مخموس مرتفع أو مخموس منخفض جدا، وقد استعملت منه أشكال مختلفة، منها العقود الثلاثي أي التي تتكون من ثلاثة عقود جزئية لتكون العقد الأصلي، وكذلك العقود الخماسية "Cinquefoil"، أما عقد رقبة الأوزة " Ogee " فقد استخدم في أغلب الأحيان في فتحات النوافذ الصغيرة والأبواب، إلا أنه غالباً ما كان يحاط بعقود من الخارج، وفي هذه الحالة الأخيرة عُرفت باسم العقود المصفحة "Foliated or Cuspe "[17]، كما تميزت أيضا العقود القوطية بأنها مكونة من عدة جنازير Different Orders "" في مستويات مختلف. (شكل 2، 6).

4- النوافذ والحليات الشبكية امتازت الكنائس القوطية بالنوافذ العالية المرتفعة بارتفاع البناء، كانت تُقسم إلى أقسام طولية تفصل بينها حواجز طولية رفيعة من الحجر، كما شُغلت تلك المشبكات الأجزاء العليا من النوافذ المستطيلة، كما أنها كانت تتوج الصور الزاهية المصنوعة من الزجاج الملون التي تشغل الأجزاء السفلية من النوافذ[18]، وقد استخدم الفرنسيين هذه الحليات في تزيين أعلى الفتحات في الحليات الشبكيية "Tracery"، ولذا قل ارتفاع الفتحات[19]، وقد كانت

الفتحات الفرنسية الأولى مكونة من دوائر وأشكال هندسية مختلفة من تخريم البلاطات الحجرية التي تملأ رؤوس النوافذ، وتُعرف باسم الحليات الشبكية اللوجية "Plate tracery "[20]، أما المتأخرة فقد كانت عبارة عن حليات مختلفة من الأحجار المنحوتة بالأشكال المطلوبة تثبت بعضها ببعض بواسطة الخوابير والأوتار، تُعرف باسم الحليات القضيبية "Bar Tracery".. الحليات الإنجليزية لم تختلف كثيراً عن الحليات الفرنسية، فقد كانت تصميماتها الفنية بوجه عام عبارة عن أشكال هندسية من دوائر وأشكال ثلاثية الأقواس" Trefoils "، شكل(7)، أو رباعية الأقواس" Quartrefoil "، شكل (6، 7)، ومثلثات أضلاعها منحنية وغير ذلك من الأشكال[21]، التى بدأت تميل إلى الاستطالة في أواخر القرن 7هـ/13م، حيث بدأ المظهر العام للتصميمات المعمارية الإنجليزية يفقد صلابته حيث صارت الخطوط الرئيسية للحليات الشبكية مشابهة للهب " Flowing " من كثرة الانحناءات والتعاريج[22]، وفي منتصف القرن 8هـ/14م اعاد الإنجليز إحياء الحليات الشبكية المستقيمة، أما الفرنسيين فقد أكثروا من استعمال الحليات اللهبية.

5-استخدمت الدعامات الساندة والدعامات الطائرة " Butterresses Flying" في الجهات المضادة للحوائط كي تساعدها علي تحمل الأثقال الواقعة عليها، شكل (8)، بينما استخدمت الأعمدة القوطية في فصل أروقة الكنيسة بعضها عن بعض، وكان أغلبها على هيئة ناقوس منكس تكسوه زخارف تمثل أوراق النبات وأغصان الاشجار، كذلك امتازت القواعد التي ارتكزت عليها تلك الأعمدة بجمال هيئتها وتنوع أشكالها.

6- اشتهرت الأبراج القوطية "Spires" بطرفها المدبب حتى أصبح من الممكن التعرف على ذلك الطراز عن بعد بأبراج البناء ذات القمم المدببة[23]، شكل (8).

ثالثا: أهم العمائر الدينية المسيحية المستحدثة في مدينة السويس:

-**المُخلص الأسقُفية (الكنيسة الانجليكانية)**"CHURCH STVIOURS ." ST

-**الموقع:** تقع الكنيسة الأسقفية[24]" إحدة كنائس المذهب البروتستانت " في مدينة السويس، شكل(9، 10)، تحديدًا في 2 شارع المحكمة أمام مبنى شركة عمر

أفندى بمدينة السويس، ويحدها من الشمال شارع يكن، ومن الجنوب شارع الجيش، ومن الشرق شارع المحكمة، ومن الغرب مساكن ملاصقة[25].

- **المنشىء وتاريخ الإنشاء:** أدى حفر وإفتتاح قناة السويس إلي زيادة هجرة الأجانب إلى مصر، حيث أصبحت لهم جاليات كبيرة العدد تختلف قلتها أو كثرتها وفقا لبعدها أو قربها من أوطانها، وكذلك وفقا لصلاتها الثقافية والمالية والتجارية والسياسية بمصر، حيث كان يمثل سكان مدن القناة مختلف الجنسيات كما إستقدمت شركة قناة السويس الكثير من الأوروبيين من الجاليات المختلفة علي رأسها الجالية الإنجليزية التى كانت ذات وضع ممتاز عن الجاليات الأخرى في القطر المصرى، حيث كان يدعمها المندوب السامى وجيش الإحتلال، كما عمل عدد كبير منهم في خدمة محمد علي باشا، إلا أن النفوذ الإنجليزى قد أحذ في الإزدياد في فترة حكم الخديوى عباس حلمى الأول (1848:1854م)[26] ، هذا بالإضافة إلي الإرساليات التنصيرية[27]، وعلي رأسها الإرساليات الإنجليزية التى كان أول اتصال بينها وبين مصر في أعقاب هزيمة نابليون بونابرت في المعركة الشهيرة ووترلو، بأوروبا، وبالفعل وصل المنصر وليم جويت W. Jowett.، إلى مصر في عام 1819م، موفداً من جانب جمعية إرساليات الكنيسة الإنجليزية[28]، ونتج عن ذلك زيادة عدد الجالية الأنجليزية في مدينة السويس والتى أصبحت في حاجة لبناء كنيسة لممارسة الشعائر الخاصة بها من صلاة وزواج وجنازات.

وقد أنشئت الكنيسة الجالية[29]، البروتستانت على الطراز القوطى الإنجليزى[30]، فقد وضع حجر الأساسى لتشييدها الدكتور المطران أم. دى ج. بك في السابع عشر من يونيو عام 1901م، وذلك طبقاً للنص التأسيسى الموجود بالواجهة الجنوبية وهو في حالة سيئة الآن، ويُقرأ كالآتي: لوحة (1)

CHURCH STVIOURS .ST
THIS STONE WAS BUT BY
M . DE . J. BEY
17 JUNE 1901

وقد تم نقل ملكية الكنيسة من الجالية الإنجليزية إلى الكنيسة الإنجيليكانية المصرية في عام 1942م، حيث ورد في تفتيش المساحة بمدينة الزقازيق عقد بيع مسجل برقم بتاريخ 1942/11/29م، يُفيد بأنه تم بيع هذا الملك من الطائفة البريطانية بالسويس إلى حساب الكنيسة الإنجليكانية بالقطر المصرى بإذن المحافظة فى مايو عام 1943م[31].

- وصف عمارة الكنيسة:

التخطيط العام: يأخذ تخطيط الكنيسة شكل السفينة " سفينة نوح "، وهو عبارة عن صليب لاتينى أبعاده 18×15م، حيث ينتهى الضلع الأطوال بالمصلى، ويعلوه سقف جمالونى[32] مغطى ببلاطات القرميد،شكل(12).

- مادة وطريقة البناء: استخدمت الأحجار المنتظمة والمصقولة الوجه في بناء الجدران مع الإستعانة بمونة القصرمل والتى تتكون من الجير والرمل والرماد كمادة رابطة، كما استخدمت بطريقة زخرفية وفى تحديد كوشات العقود وزخرفة أساسات الجدران السفلية، وبُنيت الجدران بطريقة الحوائط الحاملة، حيث تنتقل الأحمال من الأسقف إلى الحوائط التي تنقلها إلى الحوائط التي تحتها حتى تصل إلى الأساس المستمر تحت الحوائط، والذي يقوم بتوزيع الأحمال على طبقة التربة الصالحة للتأسيس، كما أن سمك الحوائط الحاملة يتزايد كلما اقتربنا من الأساس لأنه كلما اقتربنا من الأساس زادت الأحمال التي يتعرض لها الحائط، تتميز الجدران الحاملة بقلة الفتحات التى تتميز بأنها قليلة العرض كبيرة الإرتفاع نسبيا.

- واجهات الكنيسة الرئيسة:

نجد للكنيسة أربعة واجهات حرة شُيدت على الطراز الأوروبي المعروف بالطراز القوطى المستحدث، وهي كالآتي:

- الواجهة الشرقية والغربية: الواجهتين متشابهتان يبلغ طول كلا من الواجهة الشرقية والغربية 19م.

- **الواجهة الغربية** مماثلة للواجهة الشرقية، وكلتاهما مقسمة إلى ثلاثة أقسام(جنوبي - أوسط – شمالي)، شكل(12)، لوحة(3، 4).

القسم الجنوبى يحتوى على أحد الأبواب الرئيسية للكنيسة واثنين من النوافذ:

الباب: يقع في الطرف الجنوبي للواجهة الشرقية أبعاده 2,90×1,45م، وهو عبارة عن فتحة باب كبيرة معقودة بعقد مدبب[33] توجها من أعلى كوشة عقد مدبب أخر من الحجر، ويغلق عليها ضلفتا باب من الخشب الحديث،لوحة (3، 4).

ويوجد فى الواجهة الغربية اثنين من النوافذ أبعاده كل نافذة 2,10 × 1م، وهي عبارة عن فتحة نافذة معقودة بعقد مدبب يتوجها كوشة عقد مدبب، ويغلق عليها نافذة من المشبكات الحديدية من الخارج أما من الداخل عن عقد مدبب كبير من الخشب المعشق بالزجاج يحتوى بداخله علي عقدين أصغر حجما، ويرتكز العقدين على ثلاثة أعمدة إسطوانية يرتكز كل عمود علي قاعدة مرتفعة خالية من الزخرفة ويعلوه تاج أسطوانى خالي من الزخرفة أيضا، كما يزخرف كوشة العقد الكبير رسم دائرة بداخلها وريدة ثلاثية البتلات على هيئة صليب "زخرفة ثلاثية الأقواس"، لوحة(4).

القسم الأوسط يمثل ضلع الصليب الصغير والهيكل، ضلع الصليب الصغير" عبارة عن حجرة مربعة أبعادها 4×4م، ويحتوى كل ضلع من أضلاعها الثلاثة علي فتحة نافذة معقودة بعقد مدبب يتوجها كوشة عقد مدبب مماثلة للموجودة بالقسم الجنوبي، ويتم الدخول إليها من داخل الكنيسة، لوحة (4)، وذلك علي العكس من الحجرة الموجودة بالواجهة الشرقية والتى يتم الدخول إليها من الخارج من خلال فتحة باب كبيرة معقودة بعقد مدبب يتوجها من أعلى كوشة عقد مدبب أخرى من الحجر، ويغلق عليها ضلفة باب من الخشب الحديث، شكل(13)، لوحة(5)، **أما القسم الشمالي** فهو الخاص بالهيكل فهو عبارة عن جدار طوله 4م يتوسطة فتحة نافذة مشابهة لباقي نوافذ الواجهة.

- **الواجهة الشمالية:** الواجهة الشمالية طولها 7,5م، ويتوسطها من أعلي نافذة ثلاثية كبيرة عرضها 2,80م، وهى عبارة عن ثلاثة فتحات كبيرة مستطيلة، الفتحة الوسطى أكثرها إرتفاعاً، وكل فتحة معقودة بعقد مدبب من أعلى، ويحيط بكوشة العقد كوشة عقد مدبب بارزة من الحجر، كما يعلو العقدين الأصغر شكل دائرة بداخلها وريدة رباعية بهيئة صليب، أما العقد الأكبر فيعلوه دائرة بداخلها وريدة خماسية الوريقات، شكل (14)، لوحة (6).

- **الواجهة الجنوبية:** صُممت هذة الواجهة على هيئة الشكل النصف دائري يبلغ قطرها 7,5م،وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام فتح بكل قسم فتحة نافذة أبعادها 1,80×1 م، وهى أصغر حجما من باقي نوافذ الواجهات، وهى متماثلة في الشكل مع كلا من شبابيك الواجهة الشرقية والغربية، (لوحات 2، 3، 7).

- **الدعامات الساندة:** يُوجد بجدران الكنيسة 12دعامة ساندة ذات شكل مستطيل مشطوفة من أعلى بواقع دعامتين في كل زاوية من زوايا البناء الأربعة، وذلك بواقع دعامتين في الواجهة الشرقية ودعامتين في الواجهة الغربية، حيث كانت تُبنى مع أساسات الجدران لدعم أساسات المبانى، ولتخفيف سمك الحوائط والمساهمة في تحمل الأحمال القادمة من الأقبية التي ترتكز على الحوائط.

- **السقف:** يُغطي الكنيسة سقف جمالونى من الخشب،لوحة(8، 10)، ومغطى من الخارج بالقرميد، لوحة(2، 3، 4)، حيث يتكون السقف من ثلاثة مستويات أعلاها المستوى الأوسط "صالة الكنيسة" يليه الجزء الشمالي الذى يعلو الهيكل يليه الجزء الجنوبي، كما أن قائم الجمالون مزخرف بصف من الأوراق النباتية علي هيئة صلبان كبيرة وصغيرة بالتبادل، أما ضلعى الصليب الصغير فيغطيه سقف مسطح يحيط به دروة تأخذ شكل جمالون من أعلي بعضها مرتفع والآخر منخفض، لوحة(5).

- **البرج:** يعلو الجزء الجنوبي، وهو من أهم مظاهر العمارة القوطية، ويعلو الواجهة الجنوبية، فالجزء السفلي منه إسطوانى مصنوع من الخشب المغطى بالرصاص يزينه زخارف قشور السمك، ويعلوه إطار ثمانى خشبي يعلوه ثمانية نوافذ خشبية

صغيرة ذات عقد مدبب يغلق على كلا منها ضلفة شباك من الخشب، ويعلوه إطاران أخران يعلوهما القمة المخروطية المدببة " قوطية الطراز" يعلوها صليب معدنى، (شكل 15)، لوحة(2، 3، 4).

- الكنيسة من الداخل:

التخطيط: التخطيط مستطيل يتألف من صليب[34] لاتينى ينتهى الضلع الأطول بمصلي نصف دائرى، ويعرف بالكنيسة ذات الصالة الواحدة "" HALL CHURCH، ويعلوه سقف جمالونى خشبي، مكون من براطيم خشبية غير مزخرفة، ومحمول علي عوارض وكوابيل خشبية مدمجة بالجدران[35]، شكل(11).

الكنيسة من الداخل مقسمة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الآوسط "صالة الكنيسة": وهو عبارة عن صالة مستطيلة أبعادها 12× 7,10م، لوحة(8)، ويغطيها سقف جمالونى خشبي، لوحة(10)، ويُوجد في كل من ضلعيها الشرقي والغربي شباكان يتوج كل منهما عقد مدبب يغلق على كل منهما ضلفة شباك من الخشب، لوحة(11)، كما يُوجد فى النهاية الشمالية للصالة من جهة المذبح فتحة باب أبعاده 135× 1م، وتُؤدى إلى حجرة صغيرة توضع بها أدوات الكنيسة، بينما يُوجد في نهايتها الغربية فتحة ذات عقد مدبب كبير تُؤدى إلى مساحة مربعة ذات سقف مسطح مفتوحة بكامل اتساعها علي داخل الكنيسة، يتوسط ضلعها الغربي فتحة شباك، (لوحة 8، 10).

القسم الجنوبي: نصف دائرى عمقة 2,35م، يغطيه سقف خشبي جمالونى، حيث يفتح علي صالة الكنيسة بفتحة اتساعها 4م، ويفتح علي الخارج بواسطة ثلاثة شبابيك صغيرة أبعاد كلا منها 1,80×1م، ويتوج كل منها عقد مدبب، ويغلق على كل منهما ضلفة شباك من الخشب، لوحة(8).

المعمودية:

المعمودية[36] تتوسط القسم الجنوبي، وهذا النوع هو الشائع في الكنائس غير الأرذثوكسية وبالأخص الكنائس الكاثوليكية والانجليكان الأسقفين التى تسمح بالرش حيث لايحتاج المعمد فيها إلى النزول أو الغمر داخل الجرن، وهى مصنوعة من الرخام، أبعادها 60×1م، يزينها رسوم نفذت بالنحت البارز، تأخذ الشكل

الكأسى وتتكون من الجرن عمقه 30سم، وقطره 25سم سداسى الشكل يحمله قائم رأسى إسطوانى طوله 25سم ينتهى بقاعدة دائرية، (لوحة12).

القسم الشمالى"الهيكل[37] ":القسم الشمالي يفتح علي الصحن بواسطة عقد مدبب كبير يطلق عليه العقد الإنتصارى إتساعه 4م، والهيكل ذو تخطيط مربع يغطيه سقف خشبي جمالونى، ويتوسط ضلعه الشمالي نافذة كبيرة عرضه 2,80م، كما يتوجها عقد مدبب كبير بداخله ثلاثة فتحات مستطيلة عرض كل منها 65سم، وأكبرها في الإرتفاع الفتحة الوسطى، ويتوج كل منها عقد مدبب، كما يزينها زجاج مستحدث عليها رسوم جديدة ملونة، بينما يتوسط كل من الضلع الشرقي والغربي فتحة نافذة أبعادها (2,10×1م) معقودة بعقد مدبب، ويغلق على كل منهما ضلفة شباك من الخشب، لوحة(9).

الخاتمة:

- كان لدراسة الكنيسة الأسقفية في مدينة السويس أهمية كبيرة لمعرفة مدى تأثير الطرز الفنية الأوروبية التى كانت مستخدمه في العصور الوسطى في أوروبا وتم إحيائها في القرن 19، 20م علي العمائر الدينية في مصر.

- الطراز القوطى المستحدث أحد أهم الطراز المعمارية الأوروبية المستحدثة التى انتشرت في مصر يوجه عام ومدينة السويس بوجه خاص.

- الوقوف علي أهم السمات العامة للعناصر المعمارية والتشكيلية المميزة للطراز القوطي المستحدث والمستخدمة في موضوع البحث والمتمثلة في المسقط الأفقي، حيث يعتمد تخطيط الكنيسة علي شكل الصليب، والعقد المدبب الذى استخدم في فتحات النوافذ والأبواب، والنوافذ ذات الحليات الشبكية وهى عبارة عن أشكال هندسية من دوائر وأشكال ثلاثية الأقواس" Trefoils"، والدعامات الساندة التى استخدمت في تدعيم الجداران وزوايا البناء، والأبراج القوطية ذات القمم المدببة.

- تعدد الجاليات الأجنبية في مدينة السويس علي رأسها الجالية الإنجليزية ساعد على نقل التأثيراتِ الفنية والمعمارية الأوربية المستحدثة إلى مصر ومنها الطراز القوطى المستحدث.

- نشاط الحركات التنصيرية التى كانت تقوم بها الإرساليات التنصيرية في المدن المصرية علي رأسها مدينة السويس، حيث قامت بإنشاء الكنيسة الأسقفية وأتخذنها مركزا لنشر المذهب الأسقفى، وممارسة الشعائر الدينية.

الهوامش:

1- نعمت إسماعيل علام، فنون الغرب في العصور الوسطى والنهضة والباروك، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1991م، ص26.

2- Bracans Joes, "The Key to Gothic Art",England 1990, p. 3.

3- جاد، محمد توفيق وآخرون، الزخرفة التاريخية، ط1، مطبعة العلوم بشارع الخليج، القاهرة، 1993م، ص12.

4- سميكه، حنا، محيط الفنون، الجزء الأول، الفنون التشكيلية، دار المعارف، القاهرة، 1970،ص235.

5- جاد، محمد توفيق وآخرون، المرجع السابق، ص123.

6- حسين محمود إبراهيم، تاريخ الفن الأوروبي، نهضة الشرق، القاهرة، 1984م، ص74

7- Gloria Fossi, Romanesque Gothic, New York, November 4, 2008, p:118.

8- سميكة،حنا، محيط الفنون، ص235.

9- عبد الجواد، توفيق أحمد، تاريخ العمارة والفنون في العصور المتوسطة الأوروبية والإسلامية،ج3، المطبعة الفنية الحديثة بالزيتون، القاهرة، 1969م، ص77.

10- إبراهيم، أحمد محمد إبراهيم، علاقة التصوير الجدارى بالعمارة في بعض مدارس التصميم المختلفة من (1860-1950م)، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، 2006، ص8، 9.

11- عبدالجواد، توفيق أحمد، تاريخ العمارة الحديثة في القرن العشرين،ج4، القاهرة ، 1979م، ص25.

12- http://www.all-art.org/history392.html

13- عبد الجواد، توفيق أحمد، المرجع السابق، ج4، ص25.

14- إبراهيم، رشا عبد المنعم أحمد، مقارنة في الأسلوب والتطور بين فن الرومانسك والفن القوطى من خلال مثالين لكنيسة لامادلين وكاتدرائية شارتر، رسالة دكتوراه، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، 2006م، ص136

15- سميكة،حنا، المرجع السابق، ص235.

16- المرجع نفسه، ص235.

17- نايل، محمد خليل نايل ومحمد أمين عبدالقادر، تاريخ فن العمارة، المطبعة الاميرية ببولاق، 1943م، ص104 .

18- برجير ، ثباورتيشارد ، من الحجارة إلي ناطحات السحاب، ترجمة،محمد توفيق، دار النهضة،1992، ص52.

19- نايل، محمد خليل، تاريخ فن العمارة، ص115.

20- نايل، محمد خليل، المرجع السابق، ص115.

21- نايل، محمد خليل ، المرجع السابق، ص125.

22- المرجع نفسه، ص115:119.

23- عاشور،سعيد عبد الفتاح، حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م، ص230:226.

24- أطلق إسم الكنيسة الأسقفية على الكنيسة الإنجليزية التى يرجع تاريخها إلي القرن 16م، وذلك حين تم فصل الكنيسة الإنجليزية عن الكنيسة الكاثوليكية في روما وتعين رئيس أساقفة كانتربري هو رأس الكنيسة، وتجمع هذة الكنيسة بين التقاليد الكاثوليكية والبروتستانتية، نقلا عن، المقدسى، صبرى، الموجز فى المذاهب والأديان،ج1، ط1، أربيل، 2007م، ص257،256.. كما كان يرأسها ملوك انجلتر، كما كان يلقب أساقفة إنجلترا بلقب لورد حيث يُعتَبرون من أشراف المملكة،، نقلا عن، الدر السنية ،موسوعة الاديان.

http://www.dorar.net/enc/adyan/66

25- ، وقد بدأت الكنيسة الاسقفية خدمتها في مصر عام1800م حين أعطي والي مصر محمد علي باشا قطعة أرض للكنيسة في ميدان المنشية بالأسكندرية لتكون أول كنيسة للطائفة وهذه الكنيسة تسمي كاتدرائية القديس مار مرقس، حيث يوجد20كنيسة الأسقفية بجميع محافظات مصر و25 مؤسسة لخدمة المجتمع، نقلا عن ، حنا، مني ، مصر تعبر أزمتها بالمصالحة الوطنية، جريدة الأهرام، العدد46271 ، السنة138 ، بتاريخ يوم الثلاثاء الموافق 6 شوال، 1434هـ 13 / أغسطس2013 م.

26- تقع مدينة السويس فى الطرف الشمالى لخليج السويس ويحدها شرقا قناة السويس وشبه جزيرة سيناء ومن الغرب الصحراء الفاصلة بينها وبين القاهرة، وهى مدينة لها تاريخ عريق بدأ مع عهد الأسرتين الخامسة والسادسة من الدولة القديمة أى(2563ق.م)، وكانت تسمى سكوت وكانت ميناء مهما علي برزخ السويس الممتد هناك في تلك الحقبة، كما كانت عاصمة للإقليم الثامن من أقاليم الوجة البحرى، أثناء حكم الأسرتين التاسعة عشر والثانية والعشرون حيث أطلق عليها اسمها بيثوم، نقلا عن، راضى جودة: مدينة التاريخ السويس، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة،

2016م، ص21.،كما عرفت في العصر البطلمى عرفت بأرسينوى وهى المدينة التى أنشائها بطليموس الثانى اجلالا لأخته وزوجته أرسينوى، أما في أواخر العصر البطلمى فقد أطلق عليها كليوباترا نسبة إلي الملكة كليوباترا أخر من حكم من البطالمة (51- 30 ق.م) ولكن هذة التسمية ازالت واستعادة المدينة اسمها القديم، نقلا عن، نصحى، إبراهيم: السويس في العصور القديمة حتى القتح العربي، دراسة ضمن كتاب بلدنا السويس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، 54:53.، وفي القرن التاسع الميلادى أصدر خماروية بن أحمد بن طولون (884:895م) أمرا بإلغاء الأسماء القديمة وأطلق اسم السويس علي القلزم،أما في القرن العاشر فقد انشأ الفاطميون قرية صغيرة جنوبي القلزم أطلقوا عليها السويس، نقلا عن، جودة، راضى: المرجع السابق، ص22.، وتختلف نشأة مدينة السويس عن نشأة كلا من مدينة بورسعيد والإسماعيلية، فإذا كانت نشأة بورسعيد والإسماعيلية مرتبطة بحفر قناة السويس فأن نشأة بورسعيد ترجع لي عصور سحيقة حيث ورد في معجم البلدان بأنها مدينة في الطرف الشمالي لبحر اليمن بأرض مصر وإليها ينسب بحر القلزم "البحر الأحمر"، نقلا عن، رمزى، محمد، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م، القسم الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص99.، كما يُعد حفر ترعة السويس الحلوة، أحد العوامل المهمة، التي أدت إلى تطوّر المدينة، ونمو العمران فيها، والواقع أن مشروع حفْر هذه الترعة، ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمشروع القناة نفسها، بل إن شركة قناة السويس، رأت أن يكون حفْر هذه الترعة سابقاً لحفْر القناة، حتى لا تتعثر عمليات الحفْر، كما حدَث في السنوات الأربع الأولى لتنفيذ مشروع حفْر القناة، في النصف الشمالي من برزخ السويس، بين بورسعيد وبحيرة التمساح.

عبد الحفيظ، محمد، دور الجاليات الاجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر في القرن 18،19م، دراسة آثرية حضارية وثائقية، رسالة دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2000م ، ص60.

27- التنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب، فحركة التنصير أو حركة التبشير كما يسميها البعض، هي إحدى إفرازات الحركة الصليبية، فقد تأسست لتحقيق أهداف هذه الحركة، وفي ظلها وبجهودها نبتت، وتبعا لذلك مرّت حركة التنصير بنفس أدوار القوة والضعف، التي مرت بها الحركة الصليبية، فكانت مثلها ومعها تخرج من طور لتدخل في طور جديد.، نقلا عن: حسين، ممدوح ، تاريخ حركة التنصير، ط1، دار عمار، عمان، 1995 م، ص50.

28- نعيم، خالد محمد :الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر "1986 – 1756" دراسة وثائقية، القاهرة، 1988م، ص35.

29- كانت الجالية الإنجليزية ذات وضع ممتاز عن الجاليات الأخرى في القطر المصرى، فقد تركزت بصفة خاصة في مدن قناة السويس ومنها مدينة السويس، وذللك للعمل في حفر قناة السويس، نقلا عن، عبد الخفيظ، محمد مصر، المرجع السابق، ص60.

30- تعد كاتدرائية كاتنبارى أول كنيسة في انجلترا شيدت عام 530هـ1135 /م علي الطراز القوطى تحت إشراف غليوم دى سانس Guillaume De Desens"" والتى عدت بمثابة المعبر والجسر بين

الفن الرومانسكى والقوطى في الأبنية التى لاتزال تعتمد علي الجدران السميكة والأعمدة الضخمة والأقبية الثقيلة، نقلا عن، مجاهد، أمينة أحمد، التأثيرات القوطية علي العمائر الإسلامية والقبطية بمدينتى القاهرة والأسكندرية خلال القرن التاسع عشر وحتى العقد الأول من القرن العشرين، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2011م، ص22.

31- دار المحفوظات بالقاهرة، جرد 1942:1949م- سجل رقم : 30/8/446.

32- الجمالون كلمة سريانية الأصل، أصلها جمل زيدت عليها الواو والنون للتصغير حسب قواعد اللغة السريانية، وأصبح معناها الجمل الصغير وبه يشبه السقف المحدب فيقال جملون أي السقف المسنم،نقلا عن، أمين، محمد محمد وليلي علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية،ج1، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، 1990م، ص 30.، والسقف الجمالونى ذو أصل معمارى قديم، حيث سقف المعمارى بعض الأكواخ خلال عصر ما قبل الأسرات بأسقف مائلة، كما استخدمت هذه الأسقف في أكواخ مرمدة بنى سلامة وبعض القصور الملكية ومنازل الأشراف خلال عصر بداية الأسرات، نقلا عن، حماد، محمد راشد، أشغال النجارة فى مصر القديمة "نجارة العمارة"، المجلس الأعلي للآثار، 2007م، ص131.، كما استخدمت في المعابد الإغريقية الأسقف المائلة من الخشب المغطى ببلاطات الرخام أو قطع القرميد، نقلا عن، جلال، جلال الدين محمد، تاريخ حضارات ما قبل التاريخ حتي العصر الرومانى في فن العمارة، (ب.ن)، (ب.ت)، ص125.

33- يتكون العقد المدبب من قوسين بتقاطعين في رأسه مركز دائرتيهما داخل العقد وعلي مستوى قاعدته، نقلا عن، غالب، عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت، سنة 1988م، ص279.، وقد ظهر العقد المدبب الصحيح المشع في مصر في الأسرة العشرين في مصطبة بإسنا بالنوبة وفي كونججو بكوريا "أسرة بايكس 660- 18م"، نقلا عن، عبد الجواد، توفيق أحمد، المرجع السابق،ج3، ص 209.، كما ظهر في العراق في العصر الساسانى في طاق كسرى فيما بين عامى 242- 272م بقصر شاهبور الأول أو في عصر خسرو الأول 531-579 م، نقلا عن، Creswell(K-A-C):Ashort Account Of Early Muslim Architecture,Vol1,London. 1959,PreSS:136,137، وظهر كذلك في كنيسة قصر ابن وردان بالقرب من حمص فيما بين عامى 561- 564م، مصطفى، صالح لمعى:التراث المعمارى الإسلامى في مصر، دار النهضة العربية، بيروت 1984م ، ص79.، أما أقدم مثال للعقد المدبب في مصر فقد وجد هيكل بنيامين بدير لأبو مقار الذى يرجع تاريخه إلي عام 830م، نقلا عن، يوسف، وجية فوزى، تطور الكنائس القبطية الأرثوذكسية بمصر" كنائس وأديرة وادى النطروان"، رسالة، ماجستير، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، 1974م، ص130.

34-

رف التخطيط الصليبى منذ العصر الرومانى كما في فيلا هادريان، حيث استخدم في الكنائس الشرقية خاصة في فلسطين في كنيسة بيت لحم ومصر وسوريا والعراق، كما شاع في العصر البيزنطى، ومن أشهر أمثلة النموذج الصليبي كنيسة سان مارك بالبندقية التي شيدت فيما بين434- 478هـ/ 1042-1085م، كذلك استخدم التخطيط الصليبي في الكنائس الرومانسيكية والقوطية، حيث كانت كل منهما عبارة عن صليب لاتينى ينتهى الضلع الاطوال بمصلي نصف دائرى

.، نقلا عن، قادوس، عزت قادوس ومحمد عبد الفتاح، الآثار و الفنون القبطية، ط1، الإسكندرية، 2000م، ص 302.، حسين، محمود إبراهيم، تاريخ الفن الأوروبي، المرجع السابق، ص68:75.

35- من المحتمل أن يكون الأقباط قد استعاروا هذه السقوف الخشبية المحدبة من الرومان في فترة مبكرة خاصة في الكنائس القبطية في حين لم يستخدم في الكنائس البازيليكية في أي من كنائس الغرب باستثناء آيرلندا، نقلا عن:الفريد .ج.بتلر، الكنائس القبطية القديمة في مصر، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009م، ص25.

36- يدعى جرن المعمودية في الكنيسة بالأردن وهو الإسم الطقسي التقليدى القديم له، والمعمودية في الكنيسة الأنجيليكانية ليست سرًا مقدسًا بل علامة يجوز ممارستها بالرش أو التغطيس. والمعمودية التي يعترفون بها هي معمودية الروح القدس بدون ماء، نقلا عن: يوسف،سامر سمير: تأثير الإتجاهات العقائدية علي تصميم الكنائس في مصر، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، 2005،2006م، ص132.

37- الهيكل يوجد عادة في أقصى الشرق في الكنائس الشرقية" الأرثوذكسية، نقلا عن، زكى،ميلاد، الكنيسة مانراه داخلها وخارجها، (ب.ن)، (ب.ت)، ص10.، والكنائس الروم الأرذثوكس" علي العكس من الكنائس الكاثوليكية والكنائس الإنجيلية التى لا تتقيد بإتجاة معين، والهيكل كلمة عبرية الأصل مأخوذة من اللغة السامية بمعنى البيت العظيم وكانت تطلق بوجه عام علي القصر الملكى' نقلا عن،يوسف، سامر سمير، المرجع السابق، ص91.، وذكر البعض أيضا أنها كلمة سورية معناها البيت الكبير وهو المكان المخصص لعبادة الرب' نقلا عن، زكى، رضا، حوار عن قبة السكنا في الكنائس الآثرية، معهد الدراسات القبطية بالعباسية، (ب. ت)، ص14.، وقد ذكر البعض الآخر أن أصلها يرجع إلي الكلمة اليونانية "الأسكانا "eskana تعنى القبة أى أن المكان صار رمزاً للسماء' نقلا عن، Grossmann: architectural Elements Of Church, Return Aiste In THE COPTIC ENCYCLOPEDIA, A.S.Atia Ed,Vol,1,p:220، وكان أول استخدام لكلمة هيكل في اللغة العربية في كتاب تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع في القرن 10م، يسمى قدس الأقداس والقبة المحتجبة وبيت الله، نقلاعن، خورشيد، فتحى، كنائس وأديرة الفيوم منذ انتشار المسيحية حتى نهاية العصر العثمانى، مطابع المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، 1998م، ص175.